الافتتـــاحـــيـــــــة

بقلم رئيس التحرير

أ.د. شعبان عبد العزيز خليفة

الببليوجرافيا بطة سمينة أم حمل وديع ؟؟؟!!!

الببليوجرافيا (Bibliography) أو علم الكتاب ببيولوجي (Bibiolgy) تمثل قطاعاً كبيراً من قطاعات علم المكتبات و المعلومات .

وقد حفلت بـه اوروبـا أيمـا احتفـال فلم تكتف بتنظيم المدارس الأكاديمية فيـه ، و انمـا ايضـاً بتأسيس الجمعيات العلمية التى تهتم بهذا النوع من الدراسات وما تبع ذلك من اصدار دوريـات متخصصـة واصـدار مطبوعات فى مجالات متنوعة من تلك الدراسات و تنظيم الندوات و المؤتمرات على اساس ان الكتاب هو اداة من ادوات التقدم الاساسية فى المجتمع الانسانى منذ اقدم العصور.

و قد قادت بريطانيا العالم فى هذا الاتجاه و هى التى حملت العلماء والباحثين إلى وصف الببليوجرافيا بأنهـا قطـة سـمينة نظـراً لمـا تحملـه الببليوجرافيـا مـن محتـوي يكـاد يضـم نصـف محتـوي علـم المكتبـات والمعلومات لذلك فإن المنظور الأوروبي للببليوجرافيا يدور حول ثلاثة محاور أساسية يمكن تلخيصها على الوجه الآتي - :

المحور الأول : الببليوجرافيا التاريخية و هى التى تدرس بصفة عامة تطور الكتاب من جوانبه الثلاثة (المعلومات – الوسيط – الرمز).

و قد تطورت المعلومات عبر العصور من مجرد عشرة فروع للمعرفة البشرية إلـى مـا لا يقل عن مليون فرع تشعبت و تفرعت فى الزمان والمكان حتي وصلت إلى ما وصلت إليه الآن .

أما الوسيط فقد تطور هو الآخر تطـوراً مـذهلاً حتـى يتلائم مـع هـذا الكـم المـذهل مـن فـروع المعرفـة البشرية ، لقد طور من مواد بيئية متمثلة فى لحاف الشجر و القماش و سعف النخيل و مـا إليهـا إلـى مـواد مصـنعة بدائيـة مثـل ورق البـردي و اعـواد الغـاب إلـى أن وصـلنا إلـى ثـورة المعلومـات الأولـي متمثلـة فـى صناعة الورق التى ننعم بها الآن و التى قام بها تساي لون ((Cai-Lun من الصين و كل ذلك حتـى نجـد وسيطاً يحمل الكميات المتنامية من المعلومات ، وبعد الورق جاءت محـاولات اخـري لصـناعة مـواد جديـدة تفي باحتياجات الأنواع و الكميات الجديدة من المعلومات فجاء على استحياء المصغرات الفيلميـة ،و المـواد السمعية و البصرية ،و أشرطة الحاسب الآلي ،و اخيراً أقراص الليزر . وهنـاك العديـد مـن أشـكال وسـائط المعلومات كل ذلك فى سبيل الكميات الكبيرة من المعلومات و الأنواع الجديدة منها .

و لقد تطور الرمز الذي نسجل به المعلومات تطوراً كبيراً حتى يفي باحتياجات المعلومات كماً ونوعـاً فقد بدأ رمز المعلومات بالكتابة الايديوجرافية تلك الكتابة التى تصـور الأفكـار ثم تطـور الرمـز إلـى الكتابـة التصويرية تلك الكتابة التى ترسم الكلمات على هيئـة صـور فكلمـة يمشـي سـاقان منفرجتـان وكلمـة يأكـل يـد تمتد بالطعام إلى الفم و بهذه المناسبة فأن كثيراً من كتابات جنوب شرق آسيا كالصـينية واليابانيـة والكوريـة ماتزال كتابات تصويرية وتطورت الكتابة بعد ذلك إلى الكتابة الأبجدية تلك الأبجدية العبقريـة التـى خرجـت

من سيناء المصرية وعمت العالم بشرقها وغربها و غيرها والمناطق التى لم تصلها هذه الكتابة ماتزال تستخدم التصويرية وغيرها من أنواع الكتابة . لقد خرجت الكتابة السينائية العبقرية من سيناء فى ثلاث موجات عاتية : أولها موجة اخترقت بلاد الشام ثم قصدت إلى آسيا و لأنها لم تصل إلى شرقي آسيا قثد بقيت هذه المنطقة تستخدم الكتابة التصويرية على ما قدمته ، أما ثانيها موجة اخترقت البحر الأبيض وجزره قاصدة اوروبا التى عمتها من اقصاها إلى اقصاها ومن أدناها إلى أدناها ، أما الموجة الثالثة فقد سارت بحذاء الساحل الافريقي للبحر الأبيض المتوسط ومن ثم فقد ساد العالم الكتابة السينائية و يشهد على ذلك وجود هذه الكتابة على جدران معبد الآلهة بعلات فى سيناء و حيث قام الفنيقيون (الكنعانيون – الساميون) بحمل هذه الكتابة حيثما رحلوا ،ولا توجد فى العالم كتابة اندثرت أو ما تزال قيد الاستخدام ألا وهي مشتقة من الكتابة السينائية .

المحور الثانى : البيليوجرافيا البحتة

يدرس هذا المحور الكتاب على اطلاقه من حيث ملامحه المادية والنصية أما من حيث الملامح المادية فقد اتفق على أن هذا الجانب من البيليوجرافيا يُعنى بدراسة صفحة العنوان – صفحة الاهداء – المقدمات – النص – علامات الترقيم – الهوامش – الايضاحيات – حرد المتن – التجليد ، ويطلق على هذا الفرع من فروع البيليوجرافيا البحتة أو البيليوجرافيا التحليلة أو البيليوجرافيا الفيزيقية أو البيليوجرافيا المادية بينما الجانب الآخر من البيليوجرافيا الذي يدرس تطور نص الكتاب فانه يعرف ب البيليوجرافيا النقدية أو البيليوجرافيا النصية ويدور حول :

١) انتقال النص من المؤلف إلى القارئ

وهو ما يُعرف بتحقيق النصوص وما يعتري النص و خاصة فى حالة المخطوطات التى يعتريها الكثير من التغييرات والتحويرات وكلما بعدت الشُقَّةُ بين المؤلف والقارئ فى الزمان والمكان كلما كانت تغيرات وتحويرات كثيرة وبالتالى يحتاج الأمر إلى ما يعرف باقامة النص والأمر يتطلب جهداً كبيراً من جمع النسخ ومقارنتها والخروج بأكمل وأدق نص عساه يكون قد خرج من بطن المؤلف .

٢) دراسة التنازع بين النصوص

قد يحدث كثيراً عن قصد أو بدون قصد اختلاط مسئولية التأليف ومن ثمَ تدرس البيليوجرافيا النصية هذا الخلط أو ما نسميه بتنازع النصوص لتحقيق نسبة النص إلى مؤلف ما وكثيراً ما عرف تاريخ التأليف هذا النوع من التنازع و اختلاط الأنساب ، وقد استنبط علم البيليوجرافيا النصية الأسلوب الأمثل والأوقع لدراسات التنازع.

٣) دراسة تفارع النصوص أو التناص أو العلاقات بين النصوص

انه عبر آلاف السنين من التأليف والنشر تداخلت النصوص واعتمد نص على نص آخر وهناك على الأقل ستون نوعاً من أنواع التناص منها : التأليف – التصنيف - الاعداد - العمل – الصنعة - الترجمة – التحرير- الاختيار - التلخيص ومنها النحلة والانتحال.

والنحلة هي أن يؤلف شخص ما كتاباً وينسبه إلى آخرين والدوافع إلى ذلك كثيرة منها الرغبة فى الحصول على المال ومنها الرغبة فى الحصول على القربي من حاكم أو سلطان أو زعيم إلى غير ذلك .

أما الانتحال فهو أن يسطو شخص على كتاب شخص آخر و ينسبه إلى نفسه والدوافع إلى ذلك كثيرة و اياً كان الدافع فهو نوعاً من أنواع السرقة.

ومن أنواع التناص النقض أو الرد وهو أن يقوم شخص بإعداد كتاب أو نص مُعين فيقوم آخر بالرد عليه أو نقضه ، ومن أشهر النقائض فى التاريخ العربي نقائض جرير و الفرزدق ، ومن أشهر أنواع التناص : الحواشي والتعليقات والشروح و التفاسير والتذييلات والتتمات والتكملات وغير ذلك مما عُرف عبر الانتاج الفكري العربي من علاقات بين النصوص .

المحور الثالث : الببليوجرافيا التطبيقية

لعل هذ المحور هو أشهر محاور الببليوجرافيا و أكثرها انتشاراً وبراجماتية وعملية وقد نما نمواً كبيراً فى امريكا خاصة ويضم حشداً من الموضوعات : (الضبط الببليوجرافي – الوصف الببليوجرافي – التصنيف – التحليل الموضوعي – التوثيق – التكشيف – الاستخلاص – العلاج بالقراءة – جمع الكتب(

و لأن الأمريكيين هم الذين طوروا هذا الجانب من جوانب الببليوجرافيا ولأنهم عمليون براجماتيون فقد استخدم هذا المحور لخدمة الجوانب العملية التطبيقية فى استخدام الكتب وعلي سبيل المثال :

فالتصنيف يستخدم لأغراض عملية وهي خزن واسترجاع الكتب من على الرفوف ومن المعروف أن البشرية سعت إلى هذا العمل منذ العصور القديمة و لما زاد الانتاج الفكري وتوسعه كان من الضروري السعي لضبطه والسيطرة عليه وحصره وتسجيله ووصفه ومن ثم كان من الضروري الضبط الببليوجرافي ولعل أشهر من قام بهذا العمل هو كاليماخوس فى العصور القديمة وجاءت من بعده سلسلة من عظماء الببليوجرافيين الذي حذو حذوه حتى دخلت تكنولوجيا المعلومات فى هذا العمل واصبحت لدينا قواعد بيانات ببليوجرافية ضخمة .

ويقدر العالم ما صدر من ببليوجرافيات منذ كاليماخوس حتى الآن بنحو خمسة ملايين ببليوجرافية مستقلة ناهيك بأضعاف هذا العدد من الببليوجرافيات الملحقة ما بين ببليوجرافيات عالمية واقليمية ووطنية ومتخصصة نظراً لضخامة هذا العدد من الببليوجرافيات فقد ظهرت ببليوجرافيات الببليوجرافيات ثم اخيراً ببليوجرافيات ببليوجرافيات الببليوجرافيات وهي ببليوجرافيات الطبقة الثالثة .

وتعتبر ببليوجرافيات الأفراد ل / عن من أكثر أنواع الببليوجرافيات الموجودة فى العالم واذا كانت مقولة "نصف العلم تنظيمه " اساس العلم والبحث فإن الضبط الببليوجرافي هو اساس هذا العمل .

هذا وقد تطور الوصف الببليوجرافي تطوراً هائلاً عبر آلاف السنين وقد انتقل من مرحلة الاجتهادات الفردية إلى مرحلة التنظير والتقعيد والتقطير والتوحيد فى مطالع القرن الواحد والعشرين و آلت هناك قواعد موحدة للوصف الببليوجرافي حول العالم تأخذ بها جُل الدول و ان لم تكن كل الدول .

واذا كان التصنيف يعني بتقسيم المعرفة البشرية إلى قطاعات كبيرة كل قطاع صغير مقسم إلى قطاعات أصغر وأصغر وهكذا فى تسلسل هرمي فأن التحليل الموضوعي يعنى بتفتيت الموضوعات وتنسيقها فى تسلسل متواز.

وقد وضعنا التوثيق فى موقف مربك فهو احياناً يكون مساوياً فى الوظيفة والدرجة لعلم المكتبات والمعلومات [جمع وتنظيم وحفظ وتيسير الافادة] واحياناً يبتلع علم المكتبات والمعلومات فى جوفه ويزيد عليه وفى احيان ثالثة يتقلص إلى جزء من علم المكتبات والمعلومات .

و التكشيف هو أن تقوم بتحليل لمحتويات أوعية المعلومات وخاصة الدوريات ولا يهتم التكشيف الا باليانات الببليوجرافية فقط اما الاستخلاص فانه يعنى بوضع ملخص مركز لمحتويات المادة المستخلصة مما يوسع مدارك القارئ حول تلك المادة.

العلاج بالقراءة هو استخدام نص مُعين فى مداواة وعلاج مرض نفسي أو عضوي معين دون استخدام الأدوية و العقاقير والجراحة وحيث هو يسعي لتغيير نفسية المريض من حالة متردية إلى حالة معنوية عالية ومن حالة نفسية سيئة إلى حالة نفسية جيدة ومن حالة نفسية منخفضة إلى حالة نفسية مرتفعة ، وقد يقول قائل ما علاقة العلاج بالقراءة بالببليوجرافيا .. فنقول بأن العلاج بالقراءة يعنى بدراسة النصوص ولكي نعالج لابد من اختيار نص صالح للاستخدام فى العلاج وبالتالى عملية الاختيار والعلاج تدخلان فى صحيح علم الببليوجرافيا .

اما جمع الكتب فتيتدرج من الجمع إلى الحب إلى الولع إلى الوله إلى الجنون ويقصد به أن المرء قد يهتم بجمع اقصي ما يمكن جمعه من الكتب وتتدرج هذه العملية عند بعض الأفراد حتى تصل إلى درجة الجنون فيتخذ المرء شتى الطرق و اكثرها غرابة فى اقتناء الكتب لدرجة السرقة والخطف واذا اصاب كتبه مكروه ذهب عقله، ومن المؤكد ان جمع الكتب هي تجارة شديدة التنظيم وعملية التقييم تدخل يقيناً فى علم الببليوجرافيا اذا هي تتصل بالكتب واشهر مجنون كتب فى التاريخ هو (ريتشارد ديبري) الانجليزي الذي اتخذ سبلاً شتى للحصول على الكتب وذلك انه يعد ان باع املاكه لشراء الكتب استدان لكى يشتري الكتب و لما مات باعوا الكتب لسداد الديون .

ان اوروبا والفكر الببليوجرافي الاوروبي يجعلان من الببليوجرافيا قطة سمينة بينما امريكا والفكر الأمريكي يجعلان من الببليوجرافيا حملاً وديعاً ؛ وعلى مدارس المكتبات و المعلومات فى العالم العربي ان تختار القطة السمينة أو الحمل الوديع !!

رئيس التحرير

أ.د. شعبان عبد العزيز خليفة

الرئيس الفخري للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات (أفلي)